الرياض

السبت ١٢ المحرم ١٤٢٧هـ - ١١ فبراير ٢٠٠٦م - العدد ١٣٧٤٦

تأملات في الحوار الوطني مؤتمر القمة الإسلامي

د. توفيق القصير

إن الفقزة النوعية التي حققها مؤتمر القمة الإسلامي الاستثنائي في مكة المكرمة، الذي دعا اليه خادم الحرمين الشريفين، الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وما ورد في كلمته - يحفظه الله - في افتتاح المؤتمر، والمواضيع غير التقليدية التي طرحت ولأول مرة في مؤتمر عربي أو إسلامي، والتوصيات التي توصل اليها، والتي يمكن ان يحققها على مستوى الواقع الملموس اذا ما استمرت هذه المؤتمرات على هذه الدرجة من الصراحة والصدق، والرغبة الخالصة في الإصلاح السياسي والاقتصادي والتعليمي في دول العالم الإسلامي.

إن مفكري هذه الأمة يتساءلون، ما الذي يحول دون تكوين تكتل اقتصادي، ومحاولة الوصول الى اتحاد إسلامي، والعمل على تكوين أسواق اسلامية مشتركة، وعمل برامج أبحاث علمية مشتركة؟

لم يتم تفعيل منظمات العمل الإسلامي حتى الآن، لتعمل بمهنية كاملة في توظيف امكانات وقدرات العالم الإسلامي، والذي يتمتع بمميزات فريدة، كان يمكن ان تضعه في صدارة الأمم المتقدمة:

- حيث إن عدد السكان فيه ١,٣٠٠ مليون نسمة، وتبلغ نسبة الشباب فيه أكثر من ٦٠٪.
- ويحوي من مجموع مصادر الطاقة في العالم: ٧٠٪ من مخزون النفط و٣٠٪ من مخزون الغاز.
- ومن المعادن: ٢٥٪ من القصدير، ٢٣٪ من الكروم، ٧٪ من المنجنيز، ٦٪ من الحديد والزنك.
- ويسيطر على ٤ من أهم المضائق الاستراتيجية في العالم، يمر فيها أكثر من ٧٠٪ من تجارة النفط الخام، وأكثر من ٤٠٪ من التجارة العالمية.

ومن المعلومات المشار اليها أعلاه، فإن الدور الذي يقوم به العالم الإسلامي الآن، هو اقل بكثير مما يمكن ان يكون عليه، بحكم ما يتوافر له من امكانات بشرية وثروات طبيعية ومواقع استراتيجية، بالإضافة الى ما يحمله من فضائل وقيم أخلاقية وحضارية جاء بها الدين الإسلامي الحنيف «وما أرسلناك الا رحمة للعالمين.«

إن ما يحتاج اليه العالم الإسلامي، هو التفعيل الحقيقي لما يتوفر له من مؤسسات اقتصادية وثقافية وسياسية، في التنسيق بين دول العالم الإسلامي، كل حسب امكاناته، وتوسيع التعاون وفتح الأسواق والحدود لرؤوس الأموال والمنتجات والعمالة الماهرة المدربة.

وما نجاح الوحدة الأوروبية التي قامت في ١٩٨٩ باتحاد ١٥ دولة، الا دليل على امكانية قيام اتحاد بين دول ذات قوميات ولغات وثقافات مختلفة، فكيف بدول العالم الإسلامي التي يجمعها الكثير من العوامل، لبناء وحدة حقيقية خلال فترة زمنية معقولة.

إن ما تحتاجه مثل هذه الوحدة، هو وجود قيادة حكيمة مؤمنة بهذا العمل مستعدة لإمداده بكافة عناصر النجاح، وحماية هذا المشروع من دعاة التثبيط والتشكيك والفرقة، فما هو حلم الآن في عقول ١,٣٠٠ مليون مسلم، يمكن ان يتجسد واقعاً اذا ما توفر لهذا العمل قيادات مخلصة نظيفة متجردة من الأهواء.

وإن كثيرا من المسلمين يرون في شخصية خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز، وما يقوم به من جهود مخلصة، أملاً لبروز وحدة او اتحاد حقيقي بين دول العالم الإسلامي، خلال المستقبل القريب المنظور.

وقد كانت آفة المؤتمرات العربية والإسلامية في العقود السابقة، هو اكتفاء المؤتمرات بإصدار بيانات وتوصيات ختامية، تنتهي بانتهائها، حيث لا توضع الآليات لتنفيذ هذه التوصيات. فالأمل معقود الآن.. ان نبدأ السير في طريق الخروج من الإحباط الى العمل، ومن الأماني الى الحقائق، ومن الأحلام الى الواقع.

وأقترح هنا سلسلة من الأعمال المتدرجة، التي تقرب بين شعوب العالم الإسلامي، وتجعل الطريق الى الوحدة بين الدول الإسلامية هدفاً ممكناً وليس حلماً بعيداً:

* عمل برامج لتبادل الطلاب والأساتذة بين دول العالم الإسلامي.
* إقامة مراكز ابحاث مشتركة في الجامعات الكبرى في العالم الإسلامي.
* عمل برامج مكثفة لاختيار وتبني الطلبة المبدعين ورعايتهم.
* عمل مراكز أبحاث كبرى لعلوم الفضاء والبترول والطاقة.
* تبادل قيام المعارض الصناعية والزراعية والتجارية.
* فتح وتشجيع مشاريع الاستثمار وقيام شركات برأس مال إسلامي مشترك.
* فتح مناطق أسواق حرة بين الدول الإسلامية.
* إزالة التعرفة الجمركية بصورة تدريجية.
* إعطاء أولوية لاستيراد البضائع والمنتجات الإسلامية.
* عمل مشاريع مشتركة كبرى للطاقة.
* تشجيع قيام مشاريع سياحية مشتركة.
* عمل بنوك مشتركة بين الدول.

* العمل على توحيد العملة خلال فترة محددة.

* عمل صناعات متقدمة مشتركة.

* برامج لتبادل المسابقات الرياضية والنشاطات الثقافية.

* عمل مراكز كبرى للإنتاج السينمائي.

* نشر اللغة العربية وتبادل الإنتاج الفكري.

بمثل هذه البرامج العملية، يمكن الاقتراب التدريجي من وحدة إسلامية حقيقية، تحفظ للعالم كيانه، وتحميه من التشرذم والتهميش والذوبان في الثقافات والاقتصاديات الأخرى.

وبهذه المشاريع والقرارات، نستطيع البرهنة بالأعمال لا بالكلمات والخطب، ان العالم الإسلامي يمكن ان يكون أمة بناء لا أمة يأس وإحباط، وأمة عمل لا أمة أقوال وتصريحات، وأن هذه الأمة كغيرها من الأمم، تريد التنمية وتسعى اليها، وتسلح أبناءها بالعلم، وتحميهم بالعمل، وتسهم في تكامل وتكافؤ الحضارات، وهذا خير أسلوب للحوار مع الآخر.

وهذا العمل يحتاج ولاشك الى قيادة ويحتاج الى إدارة ويحتاج الى تخطيط ومتابعة، والمملكة العربية السعودية، بإذن الله، مرشحة للقيام بهذا الدور الريادي.. ورعاية هذا العمل الى ان يتحقق على أرض الواقع.. والله من وراء القصد.